تحليل نفسى

الأفعال المفقودة أو الفلتات

Les actes manqués

للدكتور عبد الفتاح سلامة

إذا كانت الأمثلة السائرة والقصص المتداولة بين الجمهور تدل على شيء ، فانما يكون ذلك لأنها نتيجة لتجارب كثيرة ، لمس كل فرد حقيقتها ، وعرف مقدار الحكمة فيها ، ويمكن له الاستفادة منها بتطبيقها على ما قد يصادفه من حوادث . وقد تكون القصة الآتية واحدة من هذه القصص ، وإنا لنذكرها هنا لأنها تحتوى على فعل مفقود أو فلتة . وإذا عرفنا أن راوى هذه القصة هو أحد رجال البوليس فان من السهل معرفة الى أى حد يمكن للبوليس والقضاء الاستفادة من هذه الفلتات .

قال صديقنا — والعهدة على الراوى — إن اثنين كانا يسيران فى جهة بعيدة عن العمران فأراد أحدهما اغتيال الآخر ، وبعد أن استعطفه دون جدوى قال له : وهل تظن أنك ناج من القصاص ؟ فأجابه : ولمَ لا ؟ فقال المسكين : « الهوا يخبر » . ولكنه قتله ووارى جثته التراب ورجع وحده الى بلدته ؛ ولم يهتد أحد الى مقر القتيل المسكين . مضى على ذلك وقت غير قصير ، واطمأن القاتل الى النجاة . وفى ذات ليلة قمرية جميلة جلس القاتل وزوجه يتبادلان الحديث — والحديث ذو شجون — وتوالت الأفكار على رأسه ، واذا به يبتسم فى غير موضع للابتسام ، واذا بزوجه تصر على معرفة سبب الابتسام ، فيقول لها إنه تذكر كلمة قالها رجل معتوه أثناء قتله ، وهذه الكلمة هى (الهوا يخبّرْ) . فلا تزال هى به حتى يعترف لها بكل شيء يتعلق بالجريمة وبمكان الجثة . فالابتسام إذن هو الفلتة التى كشفت سراً كان يحرص على كتمانه ؛ وهى التى حققت المثل القائل : « مهما تبطن ، تظهره الأيام » . ولا حاجة بنا الى القول بأن فلتات مشابهة لهذه قد اضطرت الزوجة الى الاعتراف الى صديقة لها ، وهكذا شاع الأمر وأمكن إدانة القاتل . ولعلنا نكون قد توصلنا بايراد هذه القصة الى إيضاح مانقصد من كلمة « فلتات ، أو أفعال مفقودة » ، إذ أننا بعد أن تكلمنا عن تأثير الايحاء فى بعض الأمراض العصبية وكذلك فى بعض الأمراض الأخرى ، نود أن نتكلم عن التحليل النفسى ، لأنه هو الوسيلة الوحيدة للكشف عن المشادة اللاشعورية ، وهى التى تحدث بين ذلك الشيطان — اللاشعور — والنفس .

ويكون التحليل النفسى ممكناً بالمناقشة والاستفادة من الفلتات ومن الأحلام ومن الأعراض عند المرضى . وقد سبق أن تكلمنا عن تفسير الأحلام التحليلى .

أما الفلتات أو الأفعال المفقودة فانها أفعال تصدر فى الغالب عن غير إرادة الانسان ، كأن ينطق فى سياق حديثه بكلمة لا يريدها ، وقد ينتبه أو لا ينتبه الى ماصدر منه ، (فلتة لفظية) . أو قد يكتب كلمة غير التى يريد كتابتها ، أو قد ينسى كلمة كان يود أن يكتبها ، (فلتة كتابية) . وقد ينسى الانسان شيئاً كان يذكره منذ لحظة قصيرة ، فيبحث عن قلم وهو فى يده ، أو يريد أن يتذكر اسم شخص أو بلد كان يعرفهما تماماً ، ولكنه لا يمكن له ذلك ، (فلتة من فلتات الذاكرة ، وهو ما نسميه بالنسيان) .

وكذلك قد تتحدث الى شخص وهو منتبه اليك ، ولكنه لا يلبث أن يسرح ببصره فى الفضاء ، أو أن يتغير لونه ، أو أن يلعب بأصابعه فى أى شيء ، ثم يسألك أو لا يسألك بعد ذلك عما كنت تتحدث به اليه لأنه (لم يأخذ باله) . وهذا بالطبع معناه أنه حدث له ماصرف انتباهه الى ناحية أخرى .

من قبلهم ، وكذلك برهنت الثقافة التى نشروها على انها توافق طبيعة كل الشعوب .

إن تكييف العرب لعلوم اليونان وتوسيعهم لفنونهم قد بلغ بهم الذروة فى الفلك والرياضيات والطب والطبيعيات والكيمياء ، وهم لم يقتصروا على نشر الثقافة فيما بينهم ، بل نشروها خارج ممتلكاتهم . إن موسى بن ميمون أعظم فلاسفة اليهود ، لم يكن يكتب بالعبرية ، بل بالعربية ، ومن المسلم به الآن أن تأثير العرب كان قوياً فى نجاح القديس توماس أكونياس مؤسس مناهج الدرس فى العصور الوسطى Scholastieisn التى تعتبر بحق جسراً بين تفكير القرون الوسطى والتفكير الحديث .

وعلى ذلك فان سلسلة الثقافة ظلت تامة ولم تنقطع من عهد اليونان الى ثقافة العرب الى مدنية أوربا الحديثة ؟

شرق الأردن

بشير الشريقى
المحامى

فلماذا لفظ الانسان أو كتب مالا يريد ؟ ولماذا نسى ما كان يعرفه تماماً منذ لحظة قصيرة ؟ السبب فى ذلك هو فى وجود رغبتين عند الانسان ، وفى أن إحداهما مكبوتة refoule ، والرغبة المكبوتة قد تكون لاشعورية أو شعورية أو تميزية كذلك ، ولكنها فى الغالب رغبة لاشعورية ، حيث لايعرف عنها صاحبها شيئاً إلا بعد التحليل . أما اذا كانت شعورية أو تميزية فان صاحبها ليس فى احتياج الى تحليل لمعرفتها . هذا فيما يتعلق بالرغبة المكبوتة . أما الرغبة الأخرى فانها فى الغالب رغبة تميزية ، ولكنها قد تكون شعورية أو لا شعورية كذلك ؛ فصاحب الفعل المفقود إذن يجد نفسه أمام رغبتين ، وهو فى أثناء تعبيره عن الرغبة غير المكبوتة عنده تتحين الرغبة المكبوتة أى فرصة للظهور ، وهى عند ماتسنح لها هذه الفرصة تجد سبيلها الى الظهور بواسطة أى لفظ أو حركة تنم عليها ، وهذا اللفظ أو الحركة هو ما نسميه الفلتة أو الفعل المفقود أو الفعل غير الارادى acte manqué أو lapsus

ومع أن الفعل المفقود قد أظهر الرغبة المكبوتة فانه لم يتمكن من تنفيذ هذه الرغبة ، لأن الانسان سرعان ما يستنكر صدور هذه الفلتة منه ، ويتساءل كيف أخطأ فى تعبيره . والواقع أن الرغبة المكبوتة وهى التى سببت هذه الفلتة قد اكتفت بهذا التحقق الرمزى أو التلميحى بواسطة الفعل المفقود ، لأن التحقق الفعلى تأباه عليها ظروف الحياة ، فهو إذن غير ممكن لها . وهكذا تكتفى الرغبة المكبوتة بالأوهام بدلاً من الحقيقة الواقعة ، ومثلها فى ذلك مثل الأفكار الذاتية التى سبق أن تكلمنا عنها سواء بسواء . لأن الرغبة المكبوتة مهما كانت شعورية أو تميزية فانها فى الأصل من اللاشعور ، وهو الذى يكتفى فى تنفيذ رغباته بالأوهام .

وأما الفرص التى تنتهزها الرغبة المكبوتة فهى كثيرة : فالتعب واهتياج الشعور والاجهاد الفكرى وكل ما من شأنه أن يقلل من انتباه الانسان يساعد على إيجاد هذه الأفعال المفقودة .

والرغبتان اللتان نشأ عنهما الفعل المفقود قد تكونان متعارضتين ، فيكون اللفظ إذن عكس ما كان يراد تماماً ، وقد تكون إحدى الرغبتين معدلة للأخرى أو مكملة أو مؤكدة لها ؛ وسنذكر فيما بعد بعض الأمثلة على كل نوع منها . ولنرجع الآن الى ابتسامة القاتل التى سببت اكتشاف سره ، ونرى هل هى الأخرى وليدة رغبتين عنده ؟ وهل فى هاتين الرغبتين مايدل على التعارض ؟ والى أى حد يمكن استخدام الفلتات فى الكشف عن خفايا نفسية المجرم ؟ فلقد جلس هذا الى زوجه وعنده رغبتان : الأولى حب الظهور بالبطولة ، وإظهار بأسه وقوته . والثانية حب كتمانه لما فعل خوفاً من تسرب الأخبار والوقوع تحت طائلة العقاب ، فهو إذن بين رغبتين تتنازعانه ، وبينما تشتد رغبة النجاة فى كبت رغبة الزهو والاعتداد بالنفس إذا بهذه الرغبة الأخيرة تنتهز الفرصة للظهور فى وقت ضعف الرغبة الأولى تحت تأثير الهوى . وهكذا يتحقق الزهو والفخر ، ولكن هذا التحقق انما هو إلا تحقق رمزى وذلك بالابتسام ، وما الابتسام إلا رمز الانتصار ، لأن رغبة النجاة معها ضعفت فانها لا تسمح بالاعتراف والفخر الصريح . وهكذا كان ، فقد ابتسم الرجل فى غير موضع الابتسام ، ولكنه مع ذلك يأبى الاعتراف الصريح أولاً . وهنا نرى الزوجة تقوم بدور المحلل النفسى فتستخلص منه ما كان يأبى الاعتراف به .

وإذا كنا فيما سبق قد قلنا إن الشعراء والأدباء والفنانين يستخدمون الخيال ، فان ذلك من دواعى الفخر لهم ، لأن التخيل ممكن وموجود عند كل انسان ، وانما امتاز هؤلاء بامكان استخدام خيالهم وتحقيق أحلامهم على صورة رمزية جميلة تأخذ بالألباب . وفوق ذلك فان لهم من حسن الذوق ودقة الحس مايسمح لهم بملاحظة كل ما يمر أمامهم من دقائق الحياة ، وهكذا فان الأفعال المفقودة أو الفلتات لم تفت عليهم ، بل انهم استخدموا هذه الأفعال لتجميل الأسلوب وتوضيح المقصود ، وقد أظهر لنا فرويد مثلين من ذلك . ففى رواية تاجر البندقية لشكسبير تقول بورشيا لبسانيو الذى يتقدم إلى الصناديق الثلاثة ليجرب حظه فى نيل يدها « إن عينك هذه تقسمنى إلى نصفين . فالنصف الأول لك وأما النصف الثانى فهو لك . . . . أريد فهو لى » . والسبب فى هذه الفلتة الكلامية هو أن بورشيا تريد أن تقول إنها كلها له . وفى رواية أخرى . يقول كاستنبرج لاوكتافيو . (إلى أين أنت ذاهب) . فيجيب اوكتافيو (إليها . . . إلى الدوق هيا بنا) والسبب فى هذه الفلتة أيضاً هو رغبة اوكتافيو فى اللحاق بالفتاة التى يحبها .

وأما النكت والفكاهات التى تقال على البديهة فانها نوع آخر من الأفعال المفقودة ، إلا أن قائلها يتذرع بالضحك لستر رغباته الكامنة ، ومع ذلك فان هذه الرغبات كثيراً ماتكتفى حقيقة بالأوهام ، فلا تصر على التنفيذ الحقيق لها ، وإنما تكتفى بالرموز والتلميح كما تقدم .

ويمكن استخدام هذه الأفعال فى انتخاب الأسئلة المحرجة وفى توجيه الاتهامات والمناقشة إلى الهدف الذى يرمى اليه المحقق ، أما فيما يتعلق بالمرضى فان التحليل النفسى لا يطمع من المريض أن يعترف برغباته اللاشعورية ، ولكنه يطمع فقط فى أن يعرف المريض رغباته فى أثناء المناقشة معه ، ولو أنه قد ينكرها بتاتاً ، وقد يكون ذلك الانكار خجلاً أو لأى سبب آخر ، ولكن إنكاره هذا لايمنع من وصول رغبته إلى الشعور ، ومن ثم إلى التميز لمناقشتها . فليس الاعتراف إذن ضرورياً للشفاء مادامت الرغبة قد وصلت إلى التميز ، والانكار نفسه قد يكون طريقة من طرق السمو بالرغبة ، وهذا السمو هو فى الواقع ميزة من ميزات التحليل النفسى ومن أجلها يفضل على الايحاء . والرغبة المحرمة يسمو بها الانسان إذا صورها وعدلها فاصبحت غير مخالفة لنظام المجتمع وتقاليده . فقد يفكر الانسان فى الاضرار بأى شخص كان لكراهيته له ، وذلك إظهاراً لمقدرته على البطش والأذى ، ولكنه قد يسمو فيكتفى فقط باظهار قدرته على الأذى ثم يعفو ويتسامح بعد ذلك . وهذا هو مايحدث تماماً عند مايسمو المريض العصبى برغبته . ولكن رغبة هذا المريض العصبى ليست من هذا النوع البسيط من الرغبات فانها هى والرغبات التى تتجلى فى الأحلام والتى تملى على الفنان فنه ليست إلاّ رغبات جنسية تتعلق بأشخاص من ذوى القربى ، وقد عرف كل من المريض العصبى ، وصاحب الرؤيا ، ورجل الفن طريقه إلى تحقيق رغبته . وإن كان هذا التحقيق رمزياً مشوهاً لايدل فى الظاهر على أى رغبة محرمة ، ولكن التحليل فى كل الحالات قد أثبت أن أعراض المريض والرؤيا ومنتجات الفن ليست إلاّ هذا التحقيق الرمزى المشوه لهذه الرغبات . فالرغبة المحرمة المجهولة لصاحبها لأنها مكبوتة بفعل الضمير هى أصل كل أعراض المرض ، وهى أصل الرؤيا ، وهى التى توحى الفن إلى الفنان ، بل هى سبب التخيل وكل ما يبنيه الخيال من تصورات وأمان ، وإذا كنا قد ذكرنا الفنان هنا فان من الانصاف أن نقول إنه عرف كيف يسمو برغبته ذلك السمو البارع الجميل .

ولا يمكن أن يكون هذا الموضوع تاماً إلا إذا تكلمنا عن المسألة الجنسية ، وعن قصة أوديب الملك كما ينظر اليها فرويد ، وهذا ما نرجو أن نتمكن من إيضاحه فيما بعد ، إلاّ أن ماسبق أن أوردناه يسمح لنا أن نقول إن الأيحاء وحده لايمكن أن يثمر الشفاء التام الدائم إلا إذا سبقه التحليل والكشف عن الرغبات الكامنة السالفة الذكر . ولنرجع الآن إلى الموضوع الذى يشغلنا وهو الفلتات أو الأفعال المفقودة . فقد بينا أن هذه الفلتات قد تكون كلامية . كأن يذكر كلمة غير التى كان يود أن يقولها أو يقرأها إذا كان يتكلم أو يقرأ من أى ورقة أو كتاب . أو فلتة سماعية ، كأن يسمع كلمة غير التى قيلت له أو بمعنى آخر يتخيل سماع الكلمة المعينة ، أو فلتة كتابية كأن يكتب غير الكلمة التى كان يريد كتابتها أو يمحو كلمة غير التى كان يريد محوها . أو فلتة من فلتات الذاكرة وهو ما نسميه بالنسيان — وقلنا إننا سنذكر بعض الأمثلة على كل هذا ، وأن الكلمة الخطأ قد تكون عكس الكلمة المطلوبة — المخالفة قد تكون فى ترتيب الحروف وفى معنى الكلمة — أو معدلة لها أو كلمة مدغومة فى غيرها . الخ والواقع أن الأمثلة على كل نوع منها كثيرة ولا تدخل تحت حصر ، ومن منا لم يسمع أو يلاحظ الكثير منها فى كل يوم وفى كل مكان ؟. ولهذا فانني أترك الأمثلة لمن يود أن يلاحظ بنفسه هذه الفلتات وأن يتعرف إلى الغرض الذى حدثت من أجله . وأتكلم الآن عن فلتات الذاكرة أو النسيان ، فقد أخبرنى صديق لى أنه أراد مرة أن يتحدث عن شخص عرفه من مدة قريبة وعرف اسمه وسمع ذلك الاسم مراراً ، ولكنه مع ذلك كان ينسى اسمه كلما أراد أن يتحدث عنه . وبعد جهد فى محاولة استذكار الاسم فانه يذكر اسما آخر على أنه الاسم مطلوب — وهكذا يسمى صديق ذلك الشخص (شافعى) دائما بدل اسمه الحقيق ، وذلك بعد جهد فى التذكر بدون جدوى ، وهو إذ يقول إن اسمه شافعى لايقولها بصفة التأكيد أيضاً فى كثير من الأحيان : وفى ذات مرة بعد لحظة قصيرة من التأملات أخذت الأفكار تتوالى على

عقله ولم يكن يقصد أن يتذكر الاسم الذى ينساه دائماً وإذا به يصيح فجأة إن اسمه (شلبى)

نعم . هذا هو ماحدث لصديق ، وأراد أن يعرف لماذا نسى ذلك الأسم ، ثم لماذا ذكر شافعى بدل شلبى مع شكه أيضاً فى أن ذلك هو اسمه الحقيق . ولما سألته أن يذكر لى كل مايعرفه عن أى شخص آخر يسمى بنفس هذا الأسم (شلبى) أخبرنى أنه كان يعرف شخصاً بهذا الأسم ولكن لم تكن بينهما صداقة ما . بل بالعكس فانهما كانا متنافرين — هذا يفسر لنا نسيان الأسم (شلبى) ولكنه لايفسر لماذا يسميه شافعى فى كثير من الأحيان فسألته أن يذكر لى شيئاً عمن يعرفهم باسم شافعى هذا . وهنا صاح متعجباً أنه يعرف شخصاً محترماً بهذا الأسم وأن هذا الشخص المحترم (شافعى) من حيث الخلقة والشكل العمومى يشبه (شلبى) ذلك الشخص المكروه الذى مضى على معرفته إياه وقطعه كل علاقة به زمن طويل — هذا هو اذن سر ابدال الأسم ، وهو جواب ما كان يسأل عنه .

وقد ذكر فرويد أن رجلاً كان بينه وبين زوجته نفور ، ولكنه لم يكن قد صارحها بأى شىء ، وهى مع ذلك تحبه وتخلص له . وقد أهدته كتاباً شيقاً فى نظرها ليقرأه . ولكنه وضعه فى جهة معينة ولما اراد البحث عنه لقراءته لم يتمكن من تذكر المكان الذى وضعه فيه برغم كل الجهود التى بذلها فى هذا السبيل . ثم حدث أن والدته مرضت مرضاً شديداً حمل زوجته على أن تعتنى بها وتمرضها ، وكان من نتيجة ذلك أن شعر الزوج بشكره لزوجته لعنايتها بوالدته ، وتحول هذا الشكر الى تقدير ، ثم رجع الحب الى سابق عهده . ثم لما رجع الى بيته ذات يوم فتح درجاً من أدراج المكتب بدون أى فكرة عن امكان العثور على الكتاب ولكنه لدهشته وجده فيه ، برغم مضى أكثر من ستة أشهر على وجوده فيه ، وبحثه عنه على جملة مرات فى هذه المدة .

أليست عوامل المودة والنفور هى التى تؤثر فى النسيان والتذكر وحدها ؟ فاننا سبق أن تكلمنا عن فعل الضمير فى هذا الشأن ، وكيف أنه يكبت الرغبة فيردها الى اللاشعور ، ولست فى حاجة الى القول بأن الأنسان لايذكر أو بمعنى آخر لايشعر إلا بما يعرفه الجزء الشعورى من عقله . فكل فكرة تتمكن من الوصول الى الشعور فهى شعورية ، أى أن الأنسان يعرفها ويذكرها ، وكل فكرة ترتد الى اللاشعور أو تحفظ فيه فهى فكرة لاشعورية لايعرفها الأنسان ولا يذكر الحوادث المتعلقة بها . على أنه من السهل التنقيب عما يوجد فى ذلك المخزن — اللاشعور — اذا ترك الأنسان لحرية تفكيره العنان ، فلا يعترض حرية التفكير هذه بنقد أو تجريح ولا يرمى أى فكرة تأتى اليه بأنها غير معقولة أو غير جائزة أو الخ . . . بل يترك نفسه للتفكير فلا تلبث الأفكار إذن أن تتوالى كما يقول المثل — الشىء بالشىء يذكر — لأننا سبق أن بينا أن الأفكار والرغبات مسجلة على قواعد الأصطحاب والقرينة ، أى أن الأشياء المتشابهة أو المتضادة — والمتقاربة والمتباعدة مسجلة بالقرب من بعضها ، واذا ذكر أحدها فلا بد من تذكر الآخر . واذا ذكر الأنسان صديقه فلا يلبث أن يذكر أشياء كثيرة معه كبيته أو المقهى الذى يجلسان به أو الكلام الذى حدث بينهما ، واذا تذكر هذا المقهى فقد يذكر مقهى آخر فى أوربا أو أى بلد آخر ، ويذكر معه الحوادث التى مرت به فى هذا المقهى الآخر وهلم جراً .

فاذا كانت الفلتات تخدم التحليل النفسى لأنها توجه نظر المحلل الى وجهات مهمة فتوحى اليه بالاسئلة الواجب القاؤها على المريض ، وهذا يتطلب من المحلل ذهناً صافياً وفكراً سليماً ، فان على المريض واجباً آخر يجب عليه أن يرعاه ، وهو أن يلتزم الأخلاص فى كل اجاباته على الأسئلة التى توجه اليه ، ويجب أن يعلم أن مقدار اخلاصه هذا يعرفه الطبيب المحلل نفسه . وفوق ذلك فانه يجب أن يترك أفكاره حرة من كل قيد فيجيب بكل ما يخطر على باله بصرف النظر عن موافقة ذلك للمعقول والجائز أو مخالفته لهما.

ولايفوتنى أن أذكر هنا أن شاعرنا شوقى بك فى روايته الخالدة « مجنون ليلى » قد ذكر فلتة على لسان ليلى العامرية ، فقد ذكرت المسكينة اسم قيس مرتين دون أن تشعر ، ولما نبهتها زميلة لها الى ذلك قالت : وأى شىء فى ذلك لو ذكرت قيساً ثلاثا . ثم قالت « ياقيس ناجى باسمك القلب اللسان فعثر » .

دكتور عبد الفتاح سلام
طبيب مستشفى برقاش